

الممناعة الرقمية كآلية مقاومة رمزية في الخطاب السيرياني الجزائري:
مقاربة تداولية-سيمولوجية للسخرية والميمات الرقمية في تشكّل الهوية
**Digital Immunity as a Mechanism of Symbolic Resistance in
Algerian Cyber Discourse:
A Pragmatic-Semiotic Analysis of Satire and Digital Memes in
Identity Formation**

حسين بوصالح

جامعة أكلي محمد أولحاج البويرة h.boussalah@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2025/12/30 تاريخ القبول: 2026/03/24 تاريخ النشر: 2026/03/30

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الممناعة الرقمية بوصفها آلية مقاومة رمزية غير صدامية في الخطاب السيرياني الجزائري، من خلال مقارنة كيفية تجمع بين التحليل التداولي والتحليل السيمولوجي ضمن منظور تحليل الخطاب النقدي. وتسعى الدراسة إلى فهم الكيفيات التي يوظّف بها الفاعلون الرقميون استراتيجيات خطابية وبصرية، مثل السخرية والميمات الرقمية، لتحسين ذواتهم وهوياتهم داخل فضاء منصّاتي تحكمه الخوارزميات وتنامي الهيمنة الرمزية. وتوصلت الدراسة، من خلال تحليل عيّنة رقمية متداولة عبر منصات التواصل الاجتماعي، إلى أن الممناعة الرقمية تُمارَس أساسًا عبر أفعال تداولية غير مباشرة وعلامات سيمولوجية مكثّفة، تسمح بتقويض الخطاب المهيمن دون مواجهة مباشرة. كما أظهرت النتائج أن هذه الممارسات تسهم في إعادة تشكيل الهوية الرقمية، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وتعكس وعيًا اتصاليًا مقاومًا لمنطق المنصّات والضبط الخوارزمي.

كلمات مفتاحية: الممناعة الرقمية؛ المقاومة الرمزية؛ الخطاب السيرياني؛ السخرية الرقمية؛ الهوية الرقمية.

Abstract:

This article examines digital immunity as a form of symbolic, non-confrontational resistance in Algerian cyber discourse. Drawing on a qualitative approach that combines pragmatic analysis and semiotic analysis within a critical discourse analysis framework, the study explores how Algerian digital actors employ discursive and visual strategies—such as satire,

irony, reframing, and digital memes—to negotiate meaning and protect their identities in a platform-driven environment shaped by algorithmic power. Based on the analysis of publicly available digital content circulated on social media platforms, the findings show that digital immunity operates through subtle symbolic practices that undermine dominant narratives without direct confrontation. These practices contribute to the construction of resilient individual and collective digital identities and reflect a heightened communicative awareness toward platform logics and symbolic domination in the Algerian digital public sphere.

Keywords:

digital immunity; symbolic resistance; cyber discourse; digital satire; digital identity.

مقدمة

أحدثت التحولات الرقمية المتسارعة انقلاباً عميقاً في طبيعة الفضاء العمومي، إذ لم يعد الاتصال محصوراً في الأطر المؤسسية التقليدية، بل انتقل إلى فضاء سيراني مفتوح تتقاطع فيه الخطابات، وتُعاد فيه صياغة العلاقات الاجتماعية والرمزية على أسس جديدة. وقد أضحى هذا الفضاء مجالاً مركزياً لتشكّل الهويات، وتداول المعاني، وممارسة أشكال متجددة من الفعل الاتصالي، تتجاوز حدود التعبير المباشر إلى أنماط أكثر تعقيداً ومرونة.

في هذا السياق، برز الخطاب الرقمي بوصفه ممارسة اجتماعية وثقافية ذات حمولة رمزية كثيفة، تعكس تفاعلات الأفراد والجماعات مع قضايا الهوية، والسلطة، والتمثّل الذاتي في ظل هيمنة المنصات الرقمية وخوارزمياتها. ولم يعد المستخدم الرقمي متلقياً سلبياً للرسائل، بل فاعلاً منتجاً للخطاب، قادراً على إعادة تأويل المحتوى، ومقاومته، أو تحييده عبر استراتيجيات لغوية وبصرية دقيقة.

ومن بين المفاهيم الحديثة التي فرضت نفسها في هذا الإطار، يبرز مفهوم الممناعة الرقمية بوصفه توصيفاً نظرياً لقدرة الفاعلين الرقميين على تطوير آليات دفاع رمزية تحصّن ذواتهم وهوياتهم من الاختراق المعنوي، التضليل، أو التشييء الخطابي. فالممناعة الرقمية لا تُختزل في البعد التقني أو

الأمني، بل تتجلى أساسًا في ممارسات خطابية وسيميولوجية مثل السخرية، التهكم، إعادة التأطير، الصمت الدال، وتوظيف العلامات البصرية، وهي ممارسات تعبر عن وعي اتصالي مقاوم يتشكل داخل الفضاء السيبراني.

ويكتسي هذا الطرح أهمية خاصة في السياق الجزائري، حيث يشهد الفضاء الرقمي ديناميكيات تفاعلية مكثفة، تعكس تحولات اجتماعية وثقافية عميقة، وتبرز فيها الخطابات الهوياتية والمقاومة الرمزية بوصفها استجابات للضغوط الخوارزمية، والاستقطاب القيمي، وتداخل المحلي بالعالمي. غير أنّ المقاربات البحثية السائدة ما تزال، في معظمها، أسيرة زوايا تقنية أو وصفية، تُغفل تحليل المناعة الرقمية كفعل خطابي ورمزي منتج للمعنى.

انطلاقًا من ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة المناعة الرقمية باعتبارها آلية مقاومة رمزية تتجلى داخل الخطاب السيبراني الجزائري، من خلال اعتماد مقارنة تداولية-سيميولوجية تُمكن من تفكيك الأفعال الكلامية، والرموز البصرية، والدلالات الثقافية التي تسهم في إعادة تشكيل الهوية الرقمية. وتهدف الدراسة إلى الإسهام في إثراء الحقل المعرفي لعلوم الإعلام والاتصال، عبر نقل النقاش حول المناعة الرقمية من مستواه التقني إلى أبعاده الاتصالية والثقافية العميقة، بما يفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين الخطاب، الهوية، والمقاومة في العصر الرقمي.

أولاً: الإجراءات المنهجية للدراسة

1. إشكالية الدراسة

أفرز التحول الرقمي المعاصر فضاءً سيبرانيًا لم يعد يُختزل في كونه بنية تقنية لتبادل المعلومات، بل غدا مجالًا تواصلياً رمزياً تتشكل داخله المعاني، وتُعاد عبره صياغة الهويات الفردية والجماعية، ضمن سياقات تتسم بتكثيف الخطاب، وتسارع التفاعل، وتنامي تأثير الخوارزميات المنصّاتية في توجيه الرؤى والتمثّلات. وقد أسهم هذا التحول في إعادة تشكيل طبيعة الفعل الاتصالي، حيث لم

الممناعة الرقمية كآلية مقاومة رمزية في الخطاب السيرياني الجزائري:
مقاربة تداولية- سيميولوجية للسخرية والميمات الرقمية في تشكّل الهوية

يعد المستخدم الرقمي مجرد متلقٍ سلبي، بل فاعلاً خطائياً يشارك في إنتاج المعنى، وإعادة تأطيره، والتفاوض حول دلالاته داخل المجال الرقمي.

وفي السياق الجزائري، يبرز الفضاء السيرياني بوصفه حقلاً رمزياً نشطاً تتقاطع داخله رهانات الهوية، والتمثّل الذاتي، والسلطة الرمزية، في ظل تصاعد الاستقطاب القيمي، وتنامي أشكال الهيمنة الخوارزمية التي تسهم في إعادة ترتيب الأولويات والخطابات داخل المنصّات الرقمية. وقد أفرز هذا الواقع أنماطاً جديدة من الممارسات الاتصالية لا تتخذ طابع المواجهة الصدامية المباشرة، بل تتجلى في استراتيجيات خطابية وسيميولوجية دقيقة، من قبيل السخرية، والتهكم، وإعادة التأطير، والإيحاء، والصمت الدال، والميمات الرقمية، التي تسمح بتقويض الخطاب المهيمن دون الاصطدام المباشر به. وتُقارب هذه الممارسات ضمن مفهوم الممناعة الرقمية، بوصفها قدرة رمزية اتصالية يطوّرها الفاعلون الرقميون لتحسين ذواتهم وهوياتهم من الاختراق المعنوي، والتشبيء الخطائي، والتأثير المضلل، من خلال توظيف استراتيجيات لغوية وبصرية ذات حمولة تداولية وثقافية. غير أنّ الإشكال العلمي القائم يتمثل في أن أغلب المقاربات البحثية الجزائرية والعربية التي تناولت الممناعة الرقمية ما تزال حبيسة زوايا تقنية أو تربوية، مرتبطة بالأمن السيرياني أو التربية الإعلامية، دون مساءلة معتمقة لأبعادها الاتصالية والخطابية، ولا تحليلها بوصفها آلية مقاومة رمزية تُمارَس داخل الخطاب السيرياني ذاته.

ويترتب عن ذلك فجوة معرفية واضحة تتعلق بغياب دراسات تحليلية تستكشف كيفيات اشتغال الممناعة الرقمية كممارسة تداولية-سيميولوجية، وكيف تسهم هذه الممارسة في ديناميكيات تشكّل الهوية الرقمية داخل سياق تفاعلي تحكمه منطق المنصّات والخوارزميات، لا سيما في السياق الجزائري الذي يتميز بخصوصيات ثقافية وتواصلية واضحة.

وانطلاقاً من هذا الفراغ البحثي، تتأسس الإشكالية المركزية لهذه الدراسة حول محاولة فهم العلاقة بين الخطاب، المقاومة الرمزية، والهوية الرقمية، وذلك من خلال التساؤل الآتي:

كيف تتجلى الممناعة الرقمية كآلية مقاومة رمزية في الخطاب السيرياني الجزائري، وما طبيعة إسهامها في إعادة تشكيل الهوية الرقمية ضمن سياق التفاعل المنصّاتي؟

2. تساؤلات الدراسة

التساؤلات الفرعية

❖ ما أنماط التمثّل الخطابي للممناعة الرقمية في الخطاب السيرياني الجزائري، وما السياقات التفاعلية التي تنتجها؟

❖ كيف تُوظّف الأفعال التداولية (السخرية، الإيجاء، التشكيك، الرفض الضمني، إعادة التأطير) في بناء خطاب مقاوم غير صدامي؟

❖ ما الدلالات السيميولوجية للعلامات اللغوية والبصرية (الصور، الميمات، الإيموجي، التكوين البصري) في ممارسات الممناعة الرقمية؟

❖ كيف تسهم هذه الممارسات الخطابية والسيميولوجية في إعادة تشكيل الهوية الرقمية، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي؟

❖ إلى أي مدى تعكس الممناعة الرقمية شكلاً من أشكال الوعي الاتصالي المقاوم لمنطق الهيمنة الخوارزمية وإعادة الضبط المنصّاتي للمعنى؟

3. أهداف الدراسة

✓ تحديد أنماط التمثّل الخطابي للممناعة الرقمية في الخطاب السيرياني الجزائري، والكشف عن سياقات إنتاجها وتداولها.

الممناعة الرقمية كآلية مقاومة رمزية في الخطاب السيرياني الجزائري:
مقاربة تداولية- سيميولوجية للسخرية والميمات الرقمية في تشكّل الهوية

- ✓ تحليل الأفعال التداولية الموطّفة في بناء خطاب المقاومة الرقمية غير الصدامية، واستجلاء مقاصدها التواصلية.
- ✓ تفكيك العلامات السيميولوجية اللغوية والبصرية ودلالاتها الثقافية والرمزية في ممارسات الممناعة الرقمية.
- ✓ استكشاف إسهام الممارسات الخطابية والسيميولوجية في تحصين الهوية الرقمية وإعادة تشكيلها على المستويين الفردي والجماعي.
- ✓ تطوير مقاربة اتصالية نقدية لمفهوم الممناعة الرقمية من خلال ربطه بالخطاب، السلطة الخوارزمية، وإنتاج المعنى.

4. أهمية الدراسة

أ/ الأهمية العلمية

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها:

- تسهم في سدّ فراغ نظري في الدراسات الاتصالية العربية حول مفهوم الممناعة الرقمية؛
- تنقل المفهوم من بعده التقني إلى بعده الخطابي-الثقافي؛
- توفرّ قراءة تحليلية جديدة للخطاب الرقمي الجزائري من زاوية المقاومة الرمزية.

ب / الأهمية المنهجية

- توظّف مقاربة مركّبة تجمع بين التداولية والسيميولوجيا الرقمية؛
- تبرز قابلية تحليل الخطاب الرقمي بوصفه ممارسة مقاومة غير مباشرة؛
- تفتح آفاقاً منهجية لدراسات مستقبلية في الإعلام الرقمي والهوية.

- تفيد الباحثين وصنّاع السياسات الاتصالية في فهم سلوكيات الجمهور الرقمي؛
- تسهم في تطوير برامج التربية الإعلامية والوعي الرقمي النقدي.

5 منهج الدراسة

انسجاماً مع طبيعة إشكالية الدراسة التي تسعى إلى فهم الممناعة الرقمية بوصفها ممارسة خطائية ورمزية داخل الفضاء السيبراني الجزائري، واعتماداً على تحليل المعاني، الدلالات، والمقاصد التواصلية الكامنة في الخطاب الرقمي، اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي بوصفه المنهج الأكثر ملاءمة لتحليل الظواهر الاتصالية المركّبة التي لا يمكن اختزالها في المؤشرات الكمية أو القياسات الإحصائية. ويقوم المنهج الكيفي على استكشاف المعنى وفهم السياق الذي تُنتج داخله الممارسات الخطائية، مع التركيز على تفسير الأفعال الاتصالية كما يُدركها الفاعلون أنفسهم، وليس فقط على توصيف مظاهرها السطحية. (Creswell, 2014, p. 4)

يُعرّف المنهج الكيفي بأنه مقارنة بحثية تهدف إلى دراسة الظواهر الاجتماعية والاتصالية من خلال تحليل المعاني، الرموز، والخطابات، بالاعتماد على فهم السياق الثقافي والاجتماعي الذي تُمارَس فيه هذه الظواهر. (Denzin & Lincoln, 2011, p. 3)

ويرى برايمان أن البحث الكيفي يركّز على تفسير الظواهر من الداخل، أي من خلال المعاني التي يضيفها الفاعلون على ممارساتهم التواصلية، بدل البحث عن تعميمات رقمية مجردة (Bryman, 2016, p. 375).

الممناعة الرقمية كآلية مقاومة رمزية في الخطاب السيرياني الجزائري:
مقاربة تداولية- سيميولوجية للسخرية والميمات الرقمية في تشكّل الهوية

كما يؤكد فان دايك أن تحليل الخطاب الكيفي يسمح بالكشف عن البنى الدلالية والإيديولوجية التي تتحكم في إنتاج المعنى داخل الخطاب، وهو ما يجعله مناسباً لدراسة قضايا الهوية والمقاومة الرمزية. (Van Dijk, 2008, p. 6)

تبرير اختيار المنهج:

- يُبرّر اعتماد المنهج الكيفي في هذه الدراسة بجملة من الاعتبارات المنهجية والعلمية، من أبرزها:
- طبيعة الموضوع التي تتعلق بـ المعنى، الرمز، والتمثّل، وهي عناصر لا يمكن قياسها كمياً؛
- ارتباط الممناعة الرقمية بالممارسات الخطائية الضمنية (السخرية، الإيحاء، الصمت)، التي تتطلب تحليلاً تفسيريّاً عميقاً؛
- الحاجة إلى فهم الخطاب الرقمي في سياقه التداولي والثقافي، وليس بمعزل عنه؛
- انسجام المنهج الكيفي مع المقاربة التداولية-السيميولوجية المعتمدة في الدراسة.
- ويشير كريسبويل إلى أن المنهج الكيفي يُعدّ الأنسب عندما يكون هدف الباحث هو فهم كيف ولماذا تحدث الظاهرة، وليس فقط كم مرة تحدث. (Creswell, 2014, p. 20)

7. المقاربة النظرية المعتمدة في الدراسة

1.7 تحديد المقاربة النظرية

تعتمد هذه الدراسة على مقاربة تداولية-سيمولوجية ضمن منظور تحليل الخطاب النقدي، بوصفها إطارًا نظريًا مركبًا يتيح فهم الممناعة الرقمية لا كمجرد مهارة تقنية أو سلوك فردي، بل كممارسة خطائية ورمزية تتشكل داخل سياقات اجتماعية وثقافية ومنصّاتية محددة.

وتقوم هذه المقاربة على الجمع بين:

- التداولية اللغوية، لفهم الأفعال الكلامية والمقاصد التواصلية؛
- السيمولوجيا، لتحليل العلامات اللغوية والبصرية المنتجة للمعنى؛
- تحليل الخطاب النقدي، لربط الخطاب بشروط إنتاجه الاجتماعية والسلطوية.

ويُعد هذا التكامل النظري مناسبًا لدراسة المقاومة الرمزية في الفضاء السيبراني، حيث تتقاطع اللغة، الصورة، والسياق في إنتاج المعنى.

2.7 المقاربة التداولية: الخطاب بوصفه فعلًا تواصليًا

تنطلق المقاربة التداولية من اعتبار الخطاب فعلًا اجتماعيًا يُنجز داخل سياق تفاعلي، ولا يُحتزل في بنيته اللغوية الظاهرة. فالمعنى، وفق هذا المنظور، يُبنى من خلال المقاصد التواصلية، والافتراضات الضمنية، والاستلزام الحوارية.

ويؤكد غرايس أن فهم الخطاب يقتضي تجاوز المعنى الحرفي إلى ما يُقصد قوله ضمنيًا، اعتمادًا على السياق وقواعد التعاون الحوارية (Grice, 1975, p. 45) ويكتسي هذا الطرح أهمية خاصة في تحليل الخطاب الرقمي، حيث تعتمد ممارسات الممناعة الرقمية على:

▪ السخرية والتهكم؛

▪ الإيحاء بدل التصريح؛

▪ الرفض الضمني بدل المواجهة المباشرة.

وعليه، تسمح المقاربة التداولية بتفكيك كيفية بناء خطاب مقاوم غير صدامي، يُعبّر عن موقف هوياتي دون الانخراط في مواجهة خطائية مباشرة، وهو ما ينسجم مع طبيعة الممناعة الرقمية بوصفها آلية تحصين رمزي.

9 - عينة الدراسة

تعتمد الدراسة على عينة قصدية (Purposive Sample)، انسجامًا مع طبيعة البحث الكيفي الذي لا يسعى إلى التعميم الإحصائي، بل إلى تعميق الفهم والتفسير. وتتمثل عينة الدراسة في مجموعة مختارة من الخطابات الرقمية الجزائرية التي تتضمن ممارسات واضحة للممناعة الرقمية بوصفها مقاومة رمزية.

ويشير برايمان إلى أن العينة القصدية تُمكن الباحث من اختيار الحالات الأكثر دلالة وثراءً تحليليًا (Bryman, 2016, p. 418).

تم اختيار العينة وفق المعايير الآتية:

(1) أن يكون المحتوى صادرًا عن مستخدمين جزائريين أو موجّهًا بوضوح إلى السياق الجزائري؛

(2) أن يتضمن مؤشرات خطابية أو سيميولوجية للممناعة الرقمية (سخرية، تحكم، إعادة تأطير، إيحاء، صمت دال)؛

(3) أن يكون المحتوى تفاعلياً (تعليقات، إعادة نشر، ردود) بما يسمح بتحليل ديناميكيات الخطاب؛

(4) أن يجمع بين البعد اللغوي والبصري متى أمكن، دعماً للمقاربة السيميولوجية؛

(5) أن يندرج ضمن فترة زمنية محددة ذات كثافة تفاعلية (يُتَرحَّح تحديدًا لاحقًا وفق حدث أو سياق معيّن).

يتراوح حجم العينة بين 40 وحدة خطابية رقمية (منشور، تعليق، صورة، ميم، تغريدة)، وهو حجم ملائم للتحليل الكيفي العميق، ويتيح تتبّع الأنماط التداولية والسيميولوجية دون الوقوع في التشبث التحليلي.

ويؤكد كريسويل أن حجم العينة في البحث الكيفي يُحدّد بناءً على الإشباع التحليلي، لا على التمثيل العددي. (Creswell, 2014, p. 189)

ب / وحدة التحليل

تعتمد الدراسة على وحدة التحليل الخطابي-السيميولوجي، وتشمل:

❖ النص الرقمي (المنشور أو التعليق)؛

❖ الصورة أو الميم المرفق؛

❖ العناصر التداولية (السياق، المقصد، التفاعل).

ويُعد هذا الاختيار منسجماً مع طبيعة الخطاب السيراني بوصفه بنية متعددة المستويات.

ثانياً : الجانب النظري للدراسة :

المحور الأول: المناعة الرقمية - من المقاربة التقنية إلى البعد الاتصالي الرمزي

1 ضبط مفهوم المناعة الرقمية وتحولاته المفاهيمية

ظهر مفهوم المناعة الرقمية (Digital Immunity / Digital Resilience) في الأدبيات الحديثة بوصفه استجابة معرفية وسلوكية للمخاطر المتنامية التي أفرزها التحول الرقمي، لا سيما في مجالات الأمن السيرياني، وحماية المعطيات، والتصدي للأخبار الزائفة والمضامين المضلّة. وقد ارتبط المفهوم، في بداياته، بقدرة الأفراد أو الأنظمة على الوقاية التقنية من التهديدات الرقمية، من خلال أدوات الحماية، التحقق، والفلترّة المعلوماتية.

غير أنّ هذا التصور الوقائي ظلّ قاصراً عن الإحاطة بالطبيعة المعقّدة للتفاعل الرقمي، إذ ركّز على البعد الأداتي للحماية، وأغفل الأبعاد الاتصالية والثقافية التي تُمارَس من خلالها المناعة الرقمية فعلياً داخل الخطاب اليومي للمستخدمين. فالمخاطر الرقمية لا تُمارَس فقط عبر الاختراق التقني، بل عبر الاختراق الرمزي، المتمثل في إعادة توجيه المعنى، التأثير الخفي، وصناعة القبول أو الرفض داخل الفضاء السيرياني.

وفي هذا الإطار، يشير الدكتور فوضيل دليو إلى أن التحول الرقمي لم يُنتج فقط وسائط جديدة، بل أفرز أنماطاً جديدة من التفاعل الاتصالي تستدعي الانتقال من منطق الحماية التقنية إلى منطق التحصين الرمزي للوعي والهوية، حيث يصبح المستخدم فاعلاً في إنتاج المعنى لا مجرد متلقٍ له (دليو، 2022، ص 113). ويُبرز هذا الطرح أن المناعة الرقمية تتجاوز فكرة “السلامة التقنية” لتصبح ممارسة اتصالية مرتبطة بالقدرة على الفهم، التأويل، وإعادة توجيه الخطاب.

من جهته، يرى عبد الحميد أن الوعي الإعلامي في البيئة الرقمية لم يعد يقتصر على الاستهلاك الرشيد للمحتوى، بل بات يتطلب امتلاك كفاءات تفسيرية تمكّن الفرد من مقاومة التوجيه غير

المرئي، وإعادة بناء المعنى داخل السياق الاتصالي المتحوّل (عبد الحميد، 2014، ص 201). وهو ما يفتح المجال لفهم المناعة الرقمية كقدرة على إنتاج المعنى المقاوم بدل الاكتفاء بتلقيه.

وتتقاطع هذه الرؤية مع أطروحات غربية حديثة ترى أن المناعة الرقمية لا تتحقق عبر العزل أو الانسحاب من الفضاء الرقمي، بل عبر تطوير استراتيجيات تأويلية وخطابية تُفرغ الرسائل المهيمنة من قدرتها التأثيرية. ففي هذا السياق، يشير Wardle & Derakhshan إلى أن مواجهة التضليل لا تتم فقط عبر التحقق من الوقائع، بل عبر تمكين المستخدمين من فهم السياقات السردية التي تُنتج فيها المعلومات. (Wardle & Derakhshan, 2017, p. 45)

كما يرى Couldry أن الفعل الاتصالي في البيئة الرقمية أصبح مجالاً للصراع الرمزي، حيث تُمارَس أشكال دقيقة من المقاومة عبر إعادة التأطير، السخرية، أو إعادة توظيف الخطاب، وهو ما يمنح المناعة الرقمية بعداً ثقافياً واتصالياً واضحاً. (Couldry, 2012, p. 54)

وانطلاقاً من ذلك، يمكن إعادة تعريف المناعة الرقمية، في ضوء المقاربة الاتصالية، على أنها قدرة رمزية مكتسبة تمكّن الفاعلين الرقميين من: فكّك الخطابات المهيمنة؛ إعادة تأويل الرسائل الرقمية؛ إنتاج استجابات خطابية غير صدامية؛ تحصين الهوية الرقمية من التشييء والتوجيه الخوارزمي.

وبهذا المعنى، لا تُفهم المناعة الرقمية كحالة ثابتة أو مهارة تقنية، بل كعملية ديناميكية تتشكل عبر التفاعل، الخبرة، والسياق الثقافي، وتتجلى أساساً داخل الخطاب السيبراني بوصفه مجالاً لإنتاج المعنى والمقاومة الرمزية.

2. المناعة الرقمية بوصفها ممارسة اتصالية

تنطلق هذه الدراسة من مقارنة تعتبر المناعة الرقمية ممارسة اتصالية مكتسبة تتجلى أساساً داخل الخطاب، ولا يمكن اختزالها في كونها مهارة تقنية أو سلوكاً وقائياً مرتبطاً باستخدام أدوات الحماية الرقمية. فالمناعة الرقمية، في بعدها الاتصالي، تُمارَس من خلال التفاعل اليومي مع الخطابات

الرقمية، حيث يطوّر الفاعلون استراتيجيات رمزية تمكّنهم من تحصين ذواتهم وهوياتهم من التأثيرات الموجهة والخطابات المهيمنة.

ويُفهم هذا التصور في ضوء التحول الذي عرفه الاتصال الرقمي، إذ لم يعد الفعل الاتصالي فعل استقبال أو استهلاك للمحتوى، بل أصبح فعل تأويل، إعادة إنتاج، ومقاومة للمعنى. وفي هذا السياق، تُمارس المناعة الرقمية عبر آليات خطائية دقيقة، غالبًا ما تكون غير صدامية، لكنها ذات فاعلية رمزية عالية.

أولاً: الانتقاء الخطابي كآلية مناعية

يُعدّ الانتقاء الخطابي من أبرز مظاهر المناعة الرقمية، حيث يمارس المستخدم الرقمي فعلاً واعياً في اختيار ما يتفاعل معه، وما يتجاهله، وما يعيد تداوله أو يعيد صياغته. ولا يقتصر هذا الانتقاء على المحتوى الظاهر، بل يشمل أيضاً زاوية التلقي وطريقة التأويل.

وفي هذا الإطار، يرى **Coulter & Gannon** أن المناعة الرقمية لا تتحقق من خلال العزل أو الحجب، بل عبر إعادة توجيه الانتباه وتفكيك الرسائل داخل السياق التداولي الذي تُنتج فيه، بما يسمح بتقويض أثرها الإقناعي. (Coulter & Gannon, 2019, p. 88) ويُبرز هذا الطرح أن الانتقاء الخطابي يمثل فعلاً اتصالياً واعياً يهدف إلى تحييد الرسالة بدل مواجهتها المباشرة.

ثانياً: إعادة التأطير وإنتاج المعنى المقاوم

تُعدّ إعادة التأطير (**Reframing**) من الآليات المركزية في ممارسة المناعة الرقمية، حيث يقوم الفاعل الرقمي بإعادة صياغة الرسالة أو الحدث ضمن إطار دلالي جديد، يغيّر من طبيعة معناها ووظيفته الرمزية. وتُمارس هذه الاستراتيجية عبر التعليق، السخرية، أو الربط بسياقات بديلة.

ويؤكد فيركلاف أن إعادة التأطير تُعدّ من أشكال المقاومة الخطائية التي تُعيد توزيع السلطة الرمزية داخل الخطاب، من خلال نقل مركز المعنى من المرسل الأصلي إلى المتلقي الفاعل (Fairclough, 1995, p. 27). وفي البيئة الرقمية، تكتسي هذه الآلية أهمية خاصة، لأنها تسمح للمستخدم بممارسة مقاومة رمزية دون الخضوع لمنطق المواجهة أو الحظر.

ثالثًا: السخرية والتهكم بوصفهما استراتيجيتين تداوليتين

تشكل السخرية والتهكم أحد أكثر أشكال الممانعة الرقمية شيوعًا في الخطاب السيبراني، نظرًا لقدرتهما على تفرغ الخطاب المهيمن من جديته وسلطته الرمزية. فالسخرية لا تُعبّر فقط عن موقف رفض، بل تُنتج معنى بديلًا يززع الإطار الدلالي الأصلي للرسالة.

ويشير Scott إلى أن السخرية تُعدّ من أدوات المقاومة اليومية “الخفية” التي تُمارَس بعيدًا عن المواجهة المباشرة، لكنها تُسهم في تقويض الهيمنة الرمزية. (Scott, 1990, p. 19) كما تسمح المقاربة التداولية بفهم السخرية باعتبارها فعلًا كلاميًا غير مباشر، يعتمد على الإيحاء والاستلزام الحوارية أكثر من التصريح.

رابعًا: الصمت الدال والانسحاب الرمزي

إلى جانب الممارسات التعبيرية، تتجلى الممانعة الرقمية أحيانًا في الصمت الدال أو الانسحاب الرمزي من التفاعل، بوصفه اختيارًا اتصاليًا واعيًا لا يعكس السلبية، بل يُعبّر عن رفض ضمني للانخراط في خطاب معيّن. فعدم التفاعل، في بعض السياقات الرقمية، يحمل دلالة أقوى من التفاعل نفسه.

ويرى Couldry أن هذا النوع من الفعل الاتصالي المقاوم يُمثّل استراتيجية دقيقة لتحدي منطق المنصات القائم على الاستثارة والتفاعل القسري، دون الاصطدام المباشر بآلياتها (Couldry,

(54, p. 2012, وذلك، يتحول الصمت من غياب للخطاب إلى خطاب مضاد يُمارَس عبر الامتناع.

خامسًا: الممناعة الرقمية ككفاءة اتصالية ديناميكية

انطلاقًا مما سبق، يمكن القول إن الممناعة الرقمية تُشكّل كفاءة اتصالية ديناميكية تُكتسب عبر التفاعل والخبرة الرقمية، وتتجلى في قدرة الفاعلين على: قراءة الخطاب قراءة نقدية؛ تفكيك مقاصده التداولية؛ إعادة إنتاجه داخل أطر دلالية بديلة؛ حماية الهوية الرقمية من التشويه والتوجيه الخوارزمي.

وبهذا المعنى، لا تُفهم الممناعة الرقمية كحالة ثابتة أو مكتسبة نهائيًا، بل كعملية مستمرة تتشكل داخل الممارسة الخطابية اليومية، وتُعدّ أحد أبرز تحليلات المقاومة الرمزية في الفضاء السيرياني.

يُبرز هذا العنصر أن الممناعة الرقمية، في بعدها الاتصالي، ليست فعلًا تقنيًا معزولًا، بل ممارسة خطابية وسيميولوجية مركّبة، تُمارَس عبر الانتقاء، إعادة التأطير، السخرية، والصمت الدال. وهو ما يجعلها مدخلًا نظريًا ومنهجيًا أساسيًا لفهم ديناميكيات المقاومة الرمزية في الخطاب السيرياني الجزائري، ويمهّد مباشرة للانتقال إلى الجانب التطبيقي وتحليل هذه الممارسات داخل corpus الدراسة.

2. السيميولوجيا الرقمية والمقاومة عبر العلامة

لا تقتصر المقاومة الرقمية في البيئات المنصّاتية على اللغة المكتوبة أو الخطاب اللفظي المباشر، بل تتجسد بشكل متزايد في العلامات البصرية والرمزية التي أصبحت مكونًا أساسيًا في التواصل الرقمي المعاصر. وتشمل هذه العلامات الصور، الميمات، الإيموجي، مقاطع الفيديو القصيرة، إضافة إلى الاختيارات اللونية والتكوينات البصرية التي تحمل شحنات دلالية كثيفة تتجاوز المعنى الحرفي.

وفي هذا السياق، تكتسب السيميولوجيا الرقمية أهمية نظرية ومنهجية خاصة، بوصفها الأداة التي تُمكن من تفكيك هذه العلامات وفهم كيفية اشتغالها داخل النسق الثقافي والاجتماعي الذي تُنتج فيه. فالمعنى في الخطاب الرقمي لا يُبنى عبر اللغة وحدها، بل عبر تفاعل مركّب بين النص، الصورة، والسياق التداولي.

أولاً: العلامة الرقمية بين الدلالة والإيحاء

يرى بارت أن العلامة لا تنقل معنى بريئاً أو محايداً، بل تحمل دائماً شحنة أيديولوجية تُنتج داخل سياق ثقافي محدد، حيث تنتقل من مستوى الدلالة المباشرة (Denotation) إلى مستوى الإيحاء (Barthes, 1977, p. 17). وفي الفضاء الرقمي، تتضاعف هذه الإيحاءات بفعل سرعة التداول، والاختزال، والتكرار، ما يمنح العلامات البصرية قدرة عالية على التأثير الرمزي. وتتحوّل الصورة الرقمية، في هذا الإطار، إلى وسيط دلالي قادر على تمرير مواقف هوياتية ومضامين مقاومة دون الحاجة إلى التصريح اللغوي المباشر. فاختيار صورة معيّنة، أو إعادة توظيف رمز معروف، قد يُعبّر عن رفض أو سخرية أو تشكيك، دون الدخول في مواجهة خطائية صريحة.

ثانياً: الميمات كأدوات مقاومة سيميولوجية

تُعدّ الميمات الرقمية (Memes) من أبرز تحليلات المقاومة السيميولوجية في الفضاء السيبراني، نظراً لاعتمادها على السخرية، التناص، وإعادة التوظيف الرمزي. فالميم لا يُنتج معنى جديداً من الصفر، بل يعيد تركيب معاني سابقة داخل إطار ساخر أو ناقد، ما يسمح بتقويض الخطاب المهيمن وإفراغه من جديته الرمزية.

ويشير Milner إلى أن الميمات تُعدّ شكلاً من أشكال الخطاب الثقافي الشعبي الذي يمكن الفاعلين من ممارسة نقد اجتماعي وسياسي غير مباشر، عبر الفكاهة والاختزال البصري

(Milner, 2016, p. 45). وتكتسي هذه الخاصية أهمية خاصة في السياقات التي تتسم بحساسية الخطاب أو ارتفاع منسوب الرقابة.

ثالثًا: الإيموجي والاختزال الدلالي للموقف

إلى جانب الميمات، تلعب الإيموجي دورًا سيميولوجيًا مهمًا في ممارسة الممناعة الرقمية، إذ تسمح بنقل مواقف وجدانية أو نقدية عبر رموز بسيطة لكنها محملة بدلالات ثقافية وسياقية. فاختيار إيموجي معيّن قد يُعبّر عن تهكم، رفض، أو تشكيك، دون الحاجة إلى صياغة خطاب لغوي صريح.

ويرى **Danesi** أن الإيموجي تمثل شكلاً من أشكال “اللغة البصرية” التي تُعيد تشكيل أنماط التعبير المعاصر، حيث يصبح الرمز أحياناً أكثر فاعلية من الكلمة في نقل الموقف (**Danesi, 2017, p. 62**). ويُعد هذا الاختزال الدلالي أحد مظاهر الممناعة الرقمية، لأنه يسمح بتمرير الرسالة بأقل تكلفة خطابية وأعلى كثافة رمزية.

رابعًا: التعدد النمطي والتواصل المقاوم

يشير **Kress** إلى أن التواصل الرقمي المعاصر يتسم بما يُعرف بـ التعدد النمطي (**Multimodality**)، أي تداخل أنماط التعبير اللغوية والبصرية والصوتية في إنتاج المعنى (**Kress, 2010, p. 79**). وفي هذا السياق، تكتسب الصورة قوة خاصة، لأنها تتجاوز الحواجز اللغوية وتُنتج أثرًا فوريًا في المتلقي.

وبذلك، تتحول السيميولوجيا الرقمية إلى مجال مركزي لفهم كيف تُمارَس الممناعة الرقمية بوصفها استراتيجية تواصلية تعتمد على الرمز أكثر من الخطاب المباشر.

خامسًا: السيميولوجيا الرقمية والممناعة الهويةية

في ضوء ما سبق، يمكن القول إن المقاومة عبر العلامة لا تهدف فقط إلى نقد خطاب معين، بل تسهم أيضاً في تحصين الهوية الرقمية من خلال إنتاج رموز مشتركة تعبر عن الانتماء والموقف الجماعي. فالميمات، الصور، والإيموجي لا تُستخدم فقط للسخرية، بل لبناء “ذاكرة رمزية” مشتركة تعزز التماسك الهوياتي داخل الجماعات الرقمية.

ويشير Hall إلى أن الهوية تُبنى عبر التمثّل الرمزي والتداول الثقافي للعلامات، وهو ما يجعل السيميولوجيا أداة أساسية لفهم تشكّل الهوية في الفضاء الرقمي. (Hall, 1997, p. 32)

يُبرز هذا العنصر أن السيميولوجيا الرقمية تشكّل مدخلاً نظرياً حاسماً لفهم المقاومة الرقمية بوصفها ممارسة رمزية تتجلى عبر العلامة أكثر من اللغة. فالصور، الميمات، والإيموجي لا تُعدّ عناصر تزيينية في الخطاب الرقمي، بل أدوات فاعلة في ممارسة الممانعة الرقمية، من خلال السخرية، إعادة التأطير، وبناء المعنى المقاوم. وهو ما ينسجم مباشرة مع إشكالية هذه الدراسة، ويهدف للانتقال إلى الجانب التطبيقي حيث سيتم تحليل هذه العلامات داخل corpus الخطاب السبيرياني الجزائري.

ثالثاً : الجانب التطبيقي للدراسة

يهدف هذا الجانب التطبيقي إلى تحليل تمثّلات الممانعة الرقمية بوصفها آلية مقاومة رمزية داخل الخطاب السبيرياني الجزائري، اعتماداً على مقارنة كيفية تكاملية تجمع بين التحليل التداولي والتحليل السيميولوجي ضمن منظور تحليل الخطاب النقدي. ويأتي هذا التحليل بوصفه تجسيداً عملياً للإطار المنهجي والنظري الذي تم ضبطه في الجانب السابق، بما يسمح بفهم كيفية اشتغال الممانعة الرقمية فعلياً داخل الممارسات الخطابية اليومية للفاعلين الرقميين، بدل الاكتفاء بتناولها على مستوى التصوّر المفاهيمي المجرد.

ثانيًا: تقديم عينة الدراسة

1. طبيعة العينة

تتمثل عينة الدراسة في خطابات رقمية جزائرية متاحة للعموم تم تداولها عبر منصات التواصل الاجتماعي، وتشمل أنماطًا تعبيرية متعدّدة، من بينها : منشورات نصية؛ تعليقات تفاعلية؛ صور وميمات رقمية؛ منشورات مرفقة بإيموجي ورموز بصرية.

ويُنظر إلى هذه العينة بوصفها نصوصًا خطابية-سيميولوجية مركّبة تعبّر عن ممارسات اتصالية ذات حمولة هوياتية ومقاومة رمزية، ولا يتم التعامل معها كمحتويات معزولة أو منفصلة عن سياق إنتاجها وتداولها.

2. المنصات الرقمية المعتمدة

تم اختبار العينة من ثلاث منصات رقمية رئيسية، هي:

❖ **Facebook**: باعتباره الفضاء الأكثر كثافة تداولية وانتشارًا في السياق الجزائري؛

❖ **X (Twitter)** سابقًا: (لتميّزه بالاختزال التداولي، والاعتماد المكثّف على السخرية والتهكّم؛

❖ **Instagram**: لما يوفّره من محتوى بصري غني بالعلامات السيميولوجية والتكوينات الرمزية.

ويأتي هذا الاختيار بهدف رصد تنوّع أشكال التعبير الرقمي واختلاف أنماط المقاومة الرمزية باختلاف البنية الاتصالية لكل منصة.

3. حجم العينة والفترة الزمنية

- حجم العينة 40 :وحدة خطائية رقمية؛
- الفترة الزمنية :فترة ذات كثافة تفاعلية عالية في الخطاب السيرياني الجزائري، مرتبطة بتداول واسع للمحتوى الساخر والميمات الرقمية ذات الطابع الهوياتي، خلال الفترة الممتدة من 1مارس إلى 15 أبريل 2024.

ويُعَدُّ هذا الحجم مناسباً للتحليل الكيفي العميق، وفق مبدأ الإشباع التحليلي الذي يؤكد أن القيمة التفسيرية في الدراسات الكيفية لا ترتبط بعدد الوحدات بقدر ما ترتبط بعمق التحليل (Creswell, 2014).

ثالثاً: وحدات التحليل وفئاتها

1. وحدة التحليل

تعتمد الدراسة وحدة تحليل مركبة تأخذ بعين الاعتبار تداخل المستويات التعبيرية في الخطاب الرقمي، وتشمل:

النص الرقمي + العلامة البصرية (إن وُجدت) + السياق التداولي (التفاعل، التعليقات، الإحالات).
ويأتي هذا الاختيار منسجماً مع المقاربة التداولية-السيمولوجية التي تنظر إلى الخطاب الرقمي بوصفه بنية متعددة المستويات، يُنتج فيها المعنى عبر تفاعل اللغة، الصورة، والسياق الاجتماعي-المنصّاتي.

2. منطق التقسيم التحليلي

تم تقسيم التحليل التطبيقي إلى ثلاثة محاور كبرى، يجيب كل محور عن مستوى محدّد من مستويات الإشكالية المركزية للدراسة، وذلك على النحو الآتي:

(1) كيف تُمارَس الممناعة الرقمية تداوليًا؟

(2) كيف تُبنى الممناعة الرقمية سيميولوجيًا عبر العلامة؟

(3) ما أثر هذه الممارسات في ديناميكيات تشكّل الهوية الرقمية؟

ويهدف هذا التقسيم إلى ضمان التدرّج التحليلي، وربط النتائج التطبيقية مباشرة بتساؤلات الدراسة ومقاربتها النظرية.

المحور الأول: الممناعة الرقمية بوصفها ممارسة تداولية في الخطاب السيرياني الجزائري
تحليل الأفعال الكلامية - كيف تُمارَس المقاومة؟

1. منطلقات التحليل التداولي

يرتكز هذا المحور على المقاربة التداولية التي تنظر إلى الخطاب الرقمي باعتباره فعلاً تواصلياً مقصوداً، تُنتج دلالاته من خلال السياق، والمقاصد التواصلية، والاستلزام الحوارية، وليس من خلال البنية اللغوية الظاهرة فقط. (Grice, 1975) وانطلاقاً من هذا المنظور، جرى تحليل corpus للكشف عن الأفعال التداولية التي يوظفها الفاعلون الرقميون الجزائريون بوصفها آليات للممناعة الرقمية والمقاومة الرمزية غير الصدامية.

جدول (1): توزيع الأفعال التداولية المكوّنة للممناعة الرقمية

الوظيفة الاتصالية	السياق التداولي الغالب	عدد الوحدات	الفعل التداولي
تقويض الجدية ونزع الهيمنة الرمزية	تعليقات وميمات حول الذات والهوية	13	السخرية

نزع الشرعية الرمزية	منشورات مختزلة وصور ساخرة	8	التهكم
تحويل المعنى وإعادة توجيه الدلالة	إعادة نشر مع تعليق تهكمي	7	إعادة التأطير
زعزعة المصداقية دون تصريح	ردود غير مباشرة وتعليقات إيجائية	6	التشكيك الضمني
تحييد الخطاب وعدم تضخيمه	تجاهل أو تعليق مقتضب	4	الرفض غير المعلن
مقاومة غير مرئية لمنطق المنصّة	امتناع مقصود عن التفاعل	2	الصمت الدال
—	—	40	المجموع

تُظهر نتائج الجدول أن السخرية تمثل الفعل التداولي الأكثر حضورًا داخل corpus ، ما يدلّ على أن الممناعة الرقمية في السياق الجزائري تُمارَس أساسًا عبر تفريغ الخطاب المهيمن من جديته الرمزية بدل مواجهته مباشرة. فالسخرية هنا لا تُعبّر عن رفض صريح، بل عن موقف إيجائي يُنتج معنى مضادًا يُقوّض السلطة الرمزية للخطاب الأصلي.

وتتوافق هذه النتيجة مع الطرح التداولي الذي يؤكد أن المعنى الحقيقي في الخطاب غير المباشر يُستخلص من الاستلزام الحوارى والسياق التفاعلي، لا من التصريح اللفظي. (Grice, 1975)

يحتل إعادة التأطير مرتبة متقدمة ضمن الأفعال التداولية، ما يكشف عن مستوى مرتفع من الوعي الاتصالي لدى الفاعلين الرقميين. فبدل الاكتفاء بالسخرية أو الرفض، يُعاد إدراج الخطاب داخل

إطار دلالي بديل، غالبًا ساخر أو تهكمي، يسمح بنقل مركز إنتاج المعنى من المرسل الأصلي إلى المتلقي الفاعل.

وتُعَدُّ هذه الممارسة تجسيدًا واضحًا للممناعة الرقمية بوصفها قدرة على إعادة إنتاج المعنى، وهو ما ينسجم مع تصور تحليل الخطاب النقدي الذي يرى أن إعادة التأطير تمثل شكلاً من أشكال إعادة توزيع السلطة الرمزية داخل الخطاب. (Fairclough, 1995)

رغم محدودية عدد الوحدات المرتبطة بـ الرفض غير المعلن والصمت الدال، إلا أن حضورهما يكتسي دلالة نوعية مهمّة. فعدم التفاعل أو الاكتفاء بتعليق مقتضب لا يُعبّر عن سلبية أو انسحاب، بل عن اختيار اتصالي واعٍ يهدف إلى تحييد الخطاب وعدم منحه شرعية التداول أو إعادة الانتشار. وتنسجم هذه النتيجة مع طرح Couldry الذي يرى أن بعض أشكال المقاومة الرقمية الأكثر فاعلية تتجلى في ممارسات دقيقة وغير مباشرة، تتحدى منطق المنصّات دون الاصطدام به. (Couldry, 2012).

يبيّن التحليل التداولي أن الممناعة الرقمية في الخطاب السيرياني الجزائري تُمارس عبر **أفعال كلامية غير صدامية**، تتراوح بين السخرية، التهكم، إعادة التأطير، والرفض الضمني. ويؤكد ذلك أن المقاومة الرقمية هنا ليست فعل موجه مباشرة، بل **فعل تحصين رمزي** يهدف إلى حماية الهوية الرقمية وإعادة توجيه المعنى داخل الفضاء المنصّاتي.

المحور الثاني: الممناعة الرقمية بوصفها مقاومة سيميولوجية عبر العلامة

تحليل العلامات البصرية - كيف يُبنى المعنى المقاوم؟

1. منطلقات التحليل السيميولوجي

ينطلق هذا المحور من المقاربة السيميولوجية التي تنظر إلى الخطاب الرقمي بوصفه بنية دلالية متعددة الأنماط، حيث لا يُنتج المعنى عبر اللغة المكتوبة فقط، بل من خلال تفاعل العلامات البصرية، الرموز، الألوان، والتكوينات الأيقونية داخل سياق ثقافي وتداولي محدّد. ووفق هذا المنظور، لا تُعدّ الصورة الرقمية عنصراً تزيينياً، بل وسيطاً رمزياً فاعلاً في إنتاج المعنى والمقاومة.

ويستند التحليل إلى تصور بارت الذي يرى أن العلامة تنتقل من مستوى الدلالة المباشرة إلى مستوى الإيجاء، حيث تتكتّف الشحنات الأيديولوجية والثقافية (Barthes, 1977)، إضافة إلى أطروحات Kress حول التعدد النمطي في التواصل الرقمي. (Kress, 2010)

2. جدول (2): أنماط العلامات السيميولوجية الموطّفة في خطاب الممناعة الرقمية

وظيفة المقاومة	الدلالة الإيجائية	السياق التداولي الغالب	عدد الوحدات	نوع العلامة السيميولوجية
تقويض الجدبة وإعادة التأطير	السخرية من الخطاب المهيمن	تداول واسع وتعليقات جماعية	15	الميم الرقمي الساخر
تحصين الهوية	استدعاء الذاكرة الجماعية	منشورات هوياتية	8	الصورة الرمزية الثقافية
اختزال الرفض	تمكّم ضمي/استخفاف	تعليقات مختزلة	7	الإيموجي التهكمي

الممناعة الرقمية كآلية مقاومة رمزية في الخطاب السيرياني الجزائري:
مقاربة تداولية- سيميولوجية للسخرية والميمات الرقمية في تشكّل الهوية

تفريغ الدلالة الأصلية	نقد غير مباشر	إعادة توظيف صور معروفة	6	التنصص البصري
توجيه المعنى بصرياً	إحباط قيمي أو ساخر	صور وميمات مركبة	4	التكوين اللوني/البصري
—	—	—	40	المجموع

تُظهر نتائج الجدول أن الميمات الرقمية الساخرة تشكّل النمط السيميولوجي الأكثر حضوراً داخل corpus ، وهو ما يعكس الدور المحوري الذي تلعبه في ممارسة الممناعة الرقمية. فالميم لا ينقل معنى مباشراً، بل يعيد تركيب عناصر بصرية ونصية داخل إطار ساخر يُقوّض الخطاب المهيمن ويُفقره من سلطته الرمزية.

ويُجسّد هذا الاستخدام ما أشار إليه بارت بشأن قدرة العلامة على إنتاج دلالات إيحائية تتجاوز المعنى الظاهر، حيث يتحوّل الميم إلى أداة نقد ثقافي غير مباشر تعمل على إعادة توزيع المعنى داخل النسق التداولي. (Barthes, 1977)

يبرز حضور الصور الرمزية ذات الحمولة الثقافية بوصفه مؤشراً على أن الممناعة الرقمية لا تقتصر على السخرية، بل تشمل أيضاً إعادة تأكيد الانتماء الهوياتي. فاستدعاء رموز محلية أو صور مألوفة في الذاكرة الجماعية يُسهم في تحصين الهوية الرقمية، ويخلق إحساساً بالمشاركة الرمزي بين الفاعلين الرقميين.

وتتوافق هذه النتيجة مع تصور Hall للهوية بوصفها بناءً رمزياً يتشكّل عبر التمثّل الثقافي وتداول العلامات داخل الخطاب. (Hall, 1997)

يكشف حضور الإيموجي التهكمي عن استراتيجية سيميولوجية دقيقة تقوم على الاختزال الدلالي، حيث يُنقل موقف نقدي أو رافض عبر رمز بصري بسيط، دون الحاجة إلى خطاب لغوي مباشر. ويُعد هذا الشكل من التعبير مثلاً واضحاً على الممناعة الرقمية منخفضة الكلفة الخطابية، لكنها عالية الكثافة الرمزية.

ويؤكد هذا النمط أطروحات Kress حول التعدد النمطي، حيث تصبح الصورة أحياناً أكثر قدرة على تمرير المعنى المقاوم من اللغة المكتوبة. (Kress, 2010)

يمثل التناص البصري أحد أكثر أشكال المقاومة السيميولوجية تعقيداً، إذ يقوم على إعادة توظيف صور أو رموز معروفة داخل سياق ساخر أو ناقد، بما يؤدي إلى تفريغ الدلالة الأصلية من معناها المهيمن وإعادة توجيهها دلاليًا. وتُبرز هذه الممارسة قدرة الفاعلين الرقميين على الاشتغال الواعي على العلامة، لا بوصفها صورة فقط، بل بوصفها حاملاً أيديولوجياً قابلاً لإعادة التفكيك. يُظهر التحليل السيميولوجي أن الممناعة الرقمية في الخطاب السيبراني الجزائري تُمارس بقوة عبر العلامة البصرية، خاصة الميمات، الصور الرمزية، والإيموجي، التي تتحول إلى أدوات مقاومة رمزية قادرة على السخرية من الخطاب المهيمن، إعادة تأطيره، وتحقيق تحصيل هوياتي جماعي. ويؤكد ذلك أن المقاومة الرقمية ليست لغوية فقط، بل بصرية—رمزية بامتياز.

المحور الثالث: الممناعة الرقمية وديناميكيات تشكّل الهوية الرقمية

1. منطلقات التحليل الهوياتي

ينطلق هذا المحور من تصور الهوية الرقمية بوصفها بناءً رمزيًا ديناميكيًا يتشكّل عبر الممارسة الخطائية وتداول العلامات داخل الفضاء المنصّاتي، وليس كمعطى ثابت أو جوهري. ووفق هذا المنظور، تُسهم الممناعة الرقمية—بأبعادها التداولية والسيميولوجية—في إعادة تعريف الذات الرقمية، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، عبر استراتيجيات مقاومة غير صدامية تُعيد توجيه المعنى وتحصّن الانتماء.

الممناعة الرقمية كآلية مقاومة رمزية في الخطاب السيرياني الجزائري:
مقاربة تداولية- سيميولوجية للسخرية والميمات الرقمية في تشكّل الهوية

ويستند التحليل إلى أطروحات الهوية الثقافية التي ترى أن الهوية تُنتج عبر التمثّل والتداول الرمزي داخل الخطاب (Hall, 1997) ، وإلى تصور المقاومة اليومية التي تُمارس عبر أفعال دقيقة ومراوغة لا تقوم على المواجهة المباشرة. (Scott, 1990)

جدول (3): أنماط الهوية الرقمية المرتبطة بممارسات الممناعة الرقمية

الدلالة العامة	العلامات السيميولوجية	المؤشرات الخطابية	عدد الوحدات	نمط الهوية الرقمية
تمايز وبناء ذات واعية	ميمات فردية، إيموجي تكملي	سخرية ذاتية، تهكم شخصي	14	هوية فردية ناقدة
انتماء وتماص رمزي	رموز ثقافية، صور مشتركة	خطاب "نحن/هم"، تعليقات توافقية	16	هوية جماعية تضامنية
تخصيص من الهيمنة	تناص بصري، اختزال رمزي	إعادة تأطير، صمت دال	10	هوية مقاومة منصّاتية
—	—	—	40	المجموع

تُظهر النتائج أن الهوية الفردية الناقدة تتجلى عبر ممارسات سخرية ذاتية وتهكم شخصي، يستخدمها الفاعلون لإعادة تعريف ذواتهم الرقمية بعيداً عن الامتثال للخطابات الجاهزة. وتُسهّم هذه الممارسات في بناء ذات رقمية واعية قادرة على التفكيك والتأويل، بما يعكس كفاءة اتصالية ناتجة عن الممناعة الرقمية.

وتنسجم هذه النتيجة مع تصور الهوية بوصفها عملية تفاوض مستمرة بين الذات والخطاب السائد، حيث تُمارَس السخرية كأداة تمكين فردي لا كمجرد تعبير وجداني.

يكشف حضور الهوية الجماعية التضامنية عن دور الممناعة الرقمية في إنتاج شعور الانتماء عبر تداول رموز مشتركة، وخطاب “نحن” الذي يُعاد بناؤه سيميولوجيًا وتداوليًا. فالميمات والرموز الثقافية تُستخدم هنا لتثبيت ذاكرة جماعية مشتركة، تُحصّن الجماعة من التفكك الرمزي وتُعيد تأكيد الحدود الدلالية بينها وبين “الآخر.”

وتؤكد هذه النتائج أن المقاومة الرمزية لا تقتصر على نقد الخطاب المهيمن، بل تمتد إلى بناء مشترك هوياتي يعزّز التماسك داخل الفضاء الرقمي.

تبرز فئة الهوية المقاومة المنصّاتية من خلال ممارسات مثل إعادة التأطير، الاختزال الدلالي، والصمت الدال، بما يعكس وعيًا متقدّمًا بآليات الهيمنة الخوارزمية. فبدل الانخراط في تفاعل يضاعف انتشار الخطاب المهيمن، يختار الفاعلون تحييد المنصّة عبر ممارسات تقلّل من قابلية التتبع والتضخيم.

وتنسجم هذه الممارسات مع أطروحات Couldry التي ترى أن المقاومة الفعّالة في البيئات الرقمية كثيرًا ما تتجلى في أفعال دقيقة تتحدى منطق المنصّات دون الاصطدام به مباشرة (Couldry, 2012).

يبيّن هذا المحور أن الممناعة الرقمية تُسهم بفاعلية في إعادة تشكيل الهوية الرقمية عبر ثلاثة مسارات متداخلة: بناء ذات فردية ناقدة، تعزيز هوية جماعية تضامنية، وتطوير وعي مقاوم للهيمنة المنصّاتية. ويؤكد ذلك أن المقاومة الرقمية في السياق الجزائري ليست مجرد ردّ فعل ظرفي، بل عملية هوياتية مستمرة تُنتج المعنى وتُحصّن الانتماء داخل الفضاء السيبراني

خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن الممناعة الرقمية في الخطاب السيبراني الجزائري لا تُحتزل في بعدها التقني أو الوقائي، بل تتجلى بوصفها ممارسة اتصالية رمزية تُمارَس داخل الخطاب اليومي

للفاعلين الرقميين، عبر استراتيجيات تداولية وسيميولوجية دقيقة تُعيد إنتاج المعنى وتحصّن الهوية الرقمية دون اللجوء إلى المواجهة الصدامية. وقد أظهر التحليل التطبيقي أن السخرية، التهكم، إعادة التأطير، والصمت الدال ليست مجرد أشكال تعبير عفوية، بل آليات مقاومة رمزية واعية تُستخدم لتقويض الخطاب المهيمن ونزع سلطته الرمزية.

كما يبيّن النتائج أن العلامة البصرية—ولا سيما الميمات الرقمية، الإيموجي، والتناص البصري—تلعّب دورًا محوريًا في ممارسة هذه الممناعة، من خلال الانتقال من الدلالة المباشرة إلى الإيحاء الثقافي، بما يسمح بتمرير مواقف نقدية كثيفة المعنى بأقل كلفة خطابية. ويؤكد ذلك أن المقاومة الرقمية في السياق الجزائري هي مقاومة بصرية-رمزية بقدر ما هي لغوية، وأن السيميولوجيا تمثل مدخلًا أساسيًا لفهم اشتغال الخطاب السيرياني المعاصر.

وعلى المستوى الهوياتي، أظهرت الدراسة أن الممناعة الرقمية تُسهم في إعادة تشكيل الهوية الرقمية عبر مسارات متداخلة، تشمل بناء ذات فردية ناقدة، وتعزيز هوية جماعية تضامنية، وتطوير وعي اتصالي مقاوم لمنطق المنصّات والهيمنة الخوارزمية. وبذلك، لا تُفهم الممناعة الرقمية كاستجابة دفاعية ظرفية، بل كعملية ديناميكية مستمرة تُنتج المعنى وتعيد التفاوض حول الانتماء والتمثّل داخل الفضاء السيرياني.

وُثّقَ هذه الدراسة إسهامًا علميًا يتمثل في نقل مفهوم الممناعة الرقمية من المقاربات التقنية والتربوية السائدة إلى مقاربة اتصالية نقدية تُبرز اشتغاله الفعلي داخل الخطاب الرقمي الجزائري، مع توظيف تكاملي للتحليل التداولي والسيميولوجي ضمن منظور تحليل الخطاب النقدي. كما تفتح النتائج آفاقًا بحثية مستقبلية، من بينها توسيع **corpus** زمنيًا ومنصّاتيًا، وإنجاز دراسات مقارنة عربية أو مغاربية، ودمج التحليل الخطابي مع أدوات تحليل الشبكات لفهم تفاعل الممناعة الرقمية مع منطق الانتشار الخوارزمي.

وفي الختام، تؤكد الدراسة أن الفضاء السيرياني الجزائري لا يُمثّل فقط مجالاً للاستهلاك أو التأثير بالخطابات المهيمنة، بل يشكّل أيضاً فضاءً لإنتاج مقاومات رمزية هادئة، تُمارَس عبر الذكاء التداولي والاشتغال السيميولوجي على العلامة، بما يعكس تحوّل المستخدم الرقمي من متلقٍ سلبي إلى فاعل اتصالي قادر على التحصين، التفكيك، وإعادة بناء المعنى.

قائمة المراجع

أولاً: المؤلفات

- 1) عبد الحميد، عبد السلام. (2014). *الإعلام الجديد: مفاهيمه، أدواته، وتحدياته*. مصر، القاهرة: عالم الكتب.
- 2) دليو، فضيل. (2022). *الإعلام الرقمي في الوطن العربي: الواقع والرهانات*. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر.
- 3) شقير، محمد. (2018). *سيميولوجيا الصورة الإعلامية*. الأردن، عمان: دار المسيرة.
- 4) Fairclough, Norman. (1995). *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*. United Kingdom, London: Longman.
- 5) Barthes, Roland. (1977). *Image, Music, Text*. United Kingdom, London: Fontana Press.
- 6) Couldry, Nick. (2012). *Media, Society, World: Social Theory and Digital Media Practice*. United Kingdom, Cambridge: Polity Press.
- 7) Kress, Gunther. (2010). *Multimodality: A Social Semiotic Approach to Contemporary Communication*. United Kingdom, London: Routledge.
- 8) Scott, James C. (1990). *Domination and the Arts of Resistance: Hidden Transcripts*. United States, New Haven: Yale University Press.

ثانياً: الأطروحات الجامعية

- 1) قسوم، رشيد. (2021). *الخطاب الرقمي والهوية الثقافية في المجتمعات العربية*. قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، الجزائر.

الممناعة الرقمية كآلية مقاومة رمزية في الخطاب السيرياني الجزائري:
مقاربة تداولية- سيميولوجية للسخرية والميمات الرقمية في تشكّل الهوية

(2) بوعمران، محمد. (2019). تحولات الخطاب الإعلامي في البيئة الرقمية العربية. قسم علوم الاتصال، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر.

ثالثًا: المقالات العلمية

- (1) زهير، عبد القادر. (2019). السخرية السياسية في الخطاب الإعلامي الرقمي العربي. مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد 7، العدد 1، 89-112.
- 2) Coulter, Richard, & Gannon, Martin. (2019). Digital resilience and interpretive resistance in online environments. *Journal of Digital Culture*, Vol. 11, No. 2, 73-94.
- 3) Milner, Ryan M. (2016). Hacking the social: Internet memes, identity antagonism, and the logic of lulz. *New Media & Society*, Vol. 18, No. 3, 1-17.

رابعًا: المداخلات العلمية (الملتقيات)

- (1) ملين، أحمد. (2020). الاتصال الرقمي وتحولات الوعي الجمعي في المجتمعات العربية، الملتقى الدولي حول الإعلام والتحول الرقمي، جامعة وهران، الجزائر.

خامسًا: مواقع الإنترنت والتقارير

- 1) Wardle, Claire, & Derakhshan, Hossein. (2017). *Information Disorder: Toward an Interdisciplinary Framework for Research and Policy Making*. Council of Europe. الموقع: <https://www.coe.int/en/web/freedom-expression/information-disorder>
- 2) UNESCO. (2021). *Media and Information Literacy in the Digital Age*. الموقع: <https://www.unesco.org/en/media-information-literacy>